

وقفتان داخل التراث من خلال كتابين

ويتضمن هذا الباب الفصلين الآتيين:

الفصل الأول: كتاب الحروف للفارابي

وقفة الانفتاح والانطلاق نحو المستقبل.

الفصل الثاني: كتاب تهافت الفلاسفة للغزالي

وقفة التقليد واللجوء إلى تكفير الفلاسفة.

obeikandi.com

الفصل الأول

كتاب الحروف للفارابي

وقفه الانفتاح والانطلاق نحو المستقبل

ويتضمن هذا الفصل العناصر والنقاط التالية:

- ١ - تحليل أبواب وفصول الكتاب .
- ٢ - الانفتاح على الثقافات اليونانية .
- ٣ - مدى تأثيره في بلورة أفكار العديد من الفلاسفة والمفكرين .

obeikandi.com

كتاب الحروف للفارابي وقفة الانفتاح والانطلاق نحو المستقبل

يعتبر الفارابي من أعظم فلاسفة المشرق العربي، وأكثر الفلاسفة الذين أتوا بعده - سواء في المشرق العربي أو في المغرب الإسلامي - قد تأثروا بالأراء التي قال بها هذا الفيلسوف، فنحن نجد اسم الفارابي يتردد بلا انقطاع طوال تاريخ الفكر الإسلامي، بل الفكر الفلسفي العالمي.

ويمكن القول بأن أهمية الفارابي ترجع إلى الكتب الخالدة التي تركها لنا وإذا كان قد ترك لنا كتباً كثيرة فإن كتاب (الحروف) من أهم الكتب التي تركها لنا هذا الفيلسوف وأعمقها، فلا يذكر اسم الفارابي إلا ويذكر معه كتاب (الحروف) إذ أن هذا الكتاب يجعلنا نقدر الفارابي تقديراً كبيراً نظراً لأنه يعد أكثر كتبه دقة وأصالة، إذ أننا نجد فيه بالإضافة إلى البحوث الفلسفية بحثاً في اللغة وصلتها بالمجتمع وتحديداً دقيقاً لمعاني المصطلحات التي تستخدم في كثير من العلوم.

ومن هنا فإن الدارس لفلسفة الفارابي يجد أنه من الضروري بالنسبة له دراسة هذا الكتاب دراسة دقيقة قبل أن يتكلم عن أي موضوع من الموضوعات التي بحث فيها الفارابي^(١).

ونود أن نشير إشارة موجزة إلى النسخة الخطية لهذا الكتاب وتحققها، ثم نعرض لأبرز الموضوعات التي تضمنها هذا الكتاب والقيمة الأساسية له وذلك

(١) يمكن الرجوع إلى العديد من الكتابات في فلسفة اللغة على وجه الخصوص، ومن بينها كتابات د. زكي نجيب محمود، ود. محمود زيدان، ود. عثمان أمين، ود. زينب عفيفي شاکر في كتابها: (فلسفة اللغة عند الفارابي).

حتى يتسنى لنا إدراك مدى تأثيره على أجيال المفكرين والفلاسفة والأسباب التي من أجلها كان هذا الكتاب موضع إعجاب هؤلاء المفكرين شرقا وغربا .

نسخة الكتاب الخطية - والتي تعد في الغالب هي النسخة الوحيدة - موجودة في المكتبة المركزية في جامعة طهران بإيران. وقد قام بتحقيقها تحقيقا غاية في الدقة الدكتور محسن مهدي، وقد علق عليها بكثير من التعليقات المفيدة، وقدم لها ووضع الكثير من الفهارس وعناوين الفصول. وقد نشر هذا التحقيق عام ١٩٦٩م (ألف وتسعمائة وتسعة وستين ميلادية) عن دار الشرق ببيروت.

وينقسم الكتاب إلى ثلاثة أبواب، يتضمن كل باب مجموعة من الفصول بلغت كلها ثلاثة وثلاثين فصلا .

ويمكن القول بأنه كانت توجد أسباب تاريخية دفعت الفارابي إلى تأليف هذا الكتاب؛ إذ أننا نجد الكثير من المحاورات التي كانت تتم بين أنصار النحو واللغة من جهة وانصار المنطق من جهة أخرى، وذلك على النحو الذي نجده واضحا في كتاب (الإمتاع والمؤانسة) لأبي حيان التوحيدى والذي نجد فيه الكثير من المناقشات والجدل العنيف الذي كان يحدث بين المشتغلين بالنحو وعلم اللغة وبين المتبحرين في المنطق والفلسفة، إذ أن كل فريق كان يوجه الكثير من أوجه الطعن إلى الفريق الآخر.

ومن هنا نجد الفارابي حريصا في كتابه هذا: (كتاب الحروف) على عقد الكثير من الصلات بين الجانب اللغوى من جهة والجانب الفلسفى من جهة أخرى. ولعل هذا يتضح من عنوانه من جهة ومن استعراض فصوله كما سنرى بعد قليل، من جهة أخرى، فهذا الكتاب إذن يعد فريدا في باب، إذ قلما نجد فلاسفة اهتموا ببيان الصلة بين الجانبين، بل إن أهميته تكمن في كونه يبحث في العلاقات بين الجانبين، الجانب اللغوى والجانب الفلسفى، بالإضافة إلى أنه يكشف لنا عن رأى الفارابي فيلسوف المشرق العربى، حول بعض المشكلات الفلسفية ومنها على سبيل المثال مشكلة التوفيق بين الدين والفلسفة.

ولا بد من القول بأن الفارابى - شأنه فى ذلك شأن ما نجده فى كتبه الأخرى - قد استفاد من فلاسفة اليونان الذين سبقوه استفادة كبيرة وخاصة أرسطو؛ إذ أن القارىء لكتاب (الحروف) يجد أنه أقرب كتب الفارابى إلى كتاب (الميتافيزيقا) أى ما بعد الطبيعة لأرسطو. بل إن تسمية الفارابى لكتابه بالحروف تعد هذه التسمية نوعا من التأثير بأرسطو، إذ لا يخفى علينا أن كتاب ما بعد الطبيعة لأرسطو مقسم إلى أقسام أو مقالات حسب أحرف الهجاء اليونانية (الفا وبيتا وجاما) وهذا ما فعله الفارابى حتى يقسم الكثير من فصول كتابه حسب أحرف كحرف «أى» وحرف «كيف» وحرف «هل» وحرف «متى» وهكذا، وليس هذا فقط ما يعد دليلا على تأثر الفارابى بالفيلسوف اليونانى أرسطو، بل إنه - كما سبق أن ذكرنا منذ قليل - يتأثر بأرسطو فى عديد من الآراء التى توصل إليها.

وإذا كان كتاب (الحروف) يتضمن - كما أشرنا - ثلاثة وثلاثين فصلا، فإننا نستطيع القول بأن الموضوعات التى يبحث فيها الفارابى خلال ثنايا هذه الفصول إنما تعد موضوعات فلسفية تارة ولغوية تارة أخرى، وقد يكون ذلك محاولة من جانبه للربط بين اللغة والمصطلحات العلمية من جهة وبين المنطق والفلسفة الإلهية بصفة خاصة من جهة أخرى.

ويخصص الفارابى الباب الأول من الأبواب الثلاثة التى نجدها فى كتاب (الحروف) للبحث فى الحروف وأسماء المقولات، أى ما يقال على الوجود فنجد فى فصول عديدة من فصول هذا الباب يبحث فى الجوهر والذات، وأيضا يفرق بين العديد من العلوم والصناعات كعلم المنطق، والعلم الطبيعى، والعلم الإلهى، وصناعة الخطابة، وصناعة الشعر.

بل إنه يبحث فى العديد من التفصيلات والجوانب الجزئية الخاصة بكل علم من هذه العلوم سواء كان علما من العلوم النظرية أو كان من العلوم العملية فنجد - على سبيل المثال - حين يبحث فى «النسبة» يبين لنا معانيها المختلفة المتعددة، عند المهندسين، وعند الرياضيين، وعند المشتغلين بالمنطق، وعند الباحثين فى علم النحو.

بل ويحاول الفارابى عقد مقارنات بين معانى المصطلحات الفلسفية فى لغة العرب وبين معناها فى اللغات الأخرى كاللغة اليونانية، ومن هذه المصطلحات مصطلح «الوجود» إنه يبين معناه ويقارن بين ما يعنيه العرب بهذه اللفظة أو ذلك المصطلح وبين معناه عند أمم كثيرة. وهذا إن دلنا على شىء فإنما يدلنا على أن الفارابى لم يكن مكتفياً بنقل التراث الفلسفى اليونانى، بل كان يجتهد فى المقارنة بين هذا التراث وبين التراث الخاص بالشعوب العربية.

والواقع أننا نجد فى هذا الكتاب العظيم شروحا وافية لكثير من المصطلحات العلمية والفلسفية سواء فى اللغة العربية أو فى لغات أخرى غير العربية كاللغة اليونانية واللغة السريانية، كما نجد فى هذا الكتاب الكثير من الدراسات حول أصل اللغة وعلاقتها بالدين من جهة وبالفلسفة من جهة أخرى.

هذا عن الباب الأول، أما الباب الثانى فإن الفارابى يبحث فى فصوله العديدة فى كثير من الموضوعات التى تعد أقرب إلى الفلسفة منها إلى اللغة وهذا يعد دليلاً على ما سبق أن أكدنا عليه فى بداية دراستنا لهذا الكتاب من أن هذا الكتاب لا يبحث فى موضوعات لغوية فحسب كما قد يتبادر إلى الأذهان من كلمة (الحروف) التى تعد عنواناً لكتاب (الحروف)، بل إنه يبحث فى العديد من الموضوعات الفلسفية التى تعد غاية فى الأهمية، وهذا الاتجاه من جانب الفارابى لبحث الكثير من المشكلات الفلسفية فى فصول هذا الكتاب هو الذى جعل له أهمية كبرى عند من أتوا بعد الفارابى.

إن الفارابى يبين لنا فى هذا الباب الصلة بين الدين والفلسفة، ويفرق بين الأديان المنزلة والأديان غير المنزلة، كما يحدد الفروق بين الأساليب السوفسطائية، والأساليب الجدلية، والأساليب الإقناعية والخطابية، والأساليب البرهانية، ونستطيع القول بأن الفارابى فى تحديده للفروق بين كل أسلوب منها والآخر إذا كان قد تأثر بأرسطو الفيلسوف اليونانى إلا أنه أعطانا الكثير من الأمثلة والتفصيلات التى لا نجد بعضها عند أرسطو وخاصة إذا وضعنا فى

الاعتبار أن الفارابى أمام كل أسلوب من هذه الأساليب يضع أمامه طبقة من الناس تسعى لاستعماله .

نوضح ذلك بالقول بأن الأساليب السوفسطائية تسعى إلى المغالطة، وعلى ذلك فإن من يستعمل هذه الأساليب يكون قصده الانتصار على الخصم فى رأى عن طريق اتباعه المغالطة. وهذا هو الفهم الخاطئ والشائع.

أما الأساليب الجدلية فإن معظم من يستعملها هم المتكلمون، أى الفرق الكلامية فى الإسلام كالمعتزلة والأشاعرة. إن بحوثهم كلها تعد أساليب جدلية. بمعنى أن كل فرقة حين كانت ترد على الفرقة المخالفة لها فى رأى تتبع أسلوبا جدليا يتمثل فى قولها: فإن قالوا بكذا - أى أصحاب الفرق الذين يقومون بالرد عليه - فإننا نقول بكذا، أى أنه أسلوب الجدل: جدل كل فرقة من المتكلمين مع الفرقة الأخرى التى تخالفها فى رأى والمذهب والاتجاه.

أما الأساليب الخطابية والتى تسعى إلى إقناع الناس، فإنها خاصة بالجمهور وعامة الناس إذ أنهم لا يستطيعون فهم الأساليب الجدلية التى يستعملها المتكلمون، كما لا يستطيعون أيضا إدراك الأساليب التى يتمسك بها الفلاسفة؛ إذ أنهم أقل مرتبة من المتكلمين من جهة ومن الفلاسفة من جهة أخرى.

هذا عن الأساليب السوفسطائية والجدلية والخطابية، أما الأساليب البرهانية فإنها تعد خاصة بالفلاسفة الذين يعتبرون بالنسبة للأسلوب الذى يتبعونه - أى الأسلوب البرهاني - أعلى مرتبة من العامة ومن المتكلمين أيضا.

كما يبحث الفارابى فى هذا الباب أيضا الفرق بين الملة الصحيحة والملة الفاسدة، والأسباب التى من أجلها ينهى البعض عن الاشتغال بالفلسفة، وهكذا إلى آخر الموضوعات الهامة التى نجدتها بين ثنايا الفصول التى يتكون منها الباب الثانى من أبواب كتاب (الحروف).

أما الباب الثالث والأخير من كتاب الفارابى والذى يتكون من ثمانية فصول، فإن الفارابى يبحث فيه الكثير من الحروف ويبين لنا دلالتها الفلسفية

كحرف (هل) وحرف (كيف) وغيرهما من حروف، كما نجد الفارابي يفرق لنا تفرقة دقيقة بين العلم الإلهي والعلم الطبيعي؛ إذ أن موضوع العلم الإلهي لا يتعلق بالمادة، أي أنه مفارق للمادة تماما، وهذا على العكس من موضوع العلم الطبيعي، إذ أن العلم الطبيعي يبحث أساسا في مواد الأشياء.

بعد هذا نود الكشف عن أثر هذا الكتاب الممتاز عبر الزمان، وسنرى كيف أن هذا الكتاب قد أحدث أثرا كبيرا في تشكيل وجهات النظر عند كثير من المفكرين والفلاسفة الذين اطلعوا على فصول هذا الكتاب، سواء بطريقة مباشرة أو بطريقة غير مباشرة. كما يوجد أوجه تشابه بين مباحث هذا الكتاب ومباحث كتب أخرى ألّفت قبله وألّفت بعده.

فلو بدأنا بالمشرق العربي وجدنا ابن سينا الذي يعد تلميذا للفارابي، لقد تتلمذ على كثير من كتب الفارابي، واعترف بأنه لولا الفارابي لما أمكنه فهم الكثير من الموضوعات والمشكلات الفلسفية. إن المقارن بين كتاب (الشفاء) لابن سينا وخاصة القسم الإلهي في هذا الكتاب، وبين كتاب (الحروف) يجد أن ابن سينا قد تأثر بالفارابي تأثرا كبيرا. فإذا كان الفارابي في تأليفه لكتاب (الحروف) قد تأثر بأرسطو فإن تلميذه ابن سينا لم يتأثر بأرسطو فقط بل إنه تأثر بأستاذه الفارابي بحيث يمكن القول بأنه لولا بحث الفارابي لكثير من الموضوعات في كتابه (الحروف) لما أمكن لابن سينا أن يدرس بعض الموضوعات في كتابه الإلهيات من (الشفاء) وخاصة تلك الموضوعات التي تتعلق بالجانب اللغوي من قريب أو من بعيد، وقد سبق أن أشرنا أن الفارابي في كتابه (الحروف) قد أثار الكثير من الموضوعات اللغوية، والتي قلما نجدها عند فيلسوف أو مفكر آخر سبق الفارابي.

وإذا انتقلنا من ابن سينا إلى إخوان الصفاء^(١) وجدنا أن تحليل الرسائل التي كتبها لنا إخوان الصفا يكشف لنا عن وجود تشابه مع كتاب (الحروف) الذي وضعه الفارابي، إن إخوان الصفا كانوا كثيرا ما يدرسون الموضوعات الفلسفية من خلال علاقتها بالجانب اللغوي من جهة والجانب الرياضي من جهة

(١) اقتصرنا على ذكر مجموعة من الأمثلة والنماذج ولم نلتزم في ذكرنا لها بالجانب التاريخي.

أخرى، وهذا يكشف عن التشابه بين اهتمامات الفارابي واهتماماتهم في العديد من الرسائل.

بل إن المقارن بين ما بحث فيه إخوان الصفا والذي يتعلق بالعلوم الرياضية وبين ما كتبه الفارابي عن علوم التعاليم، أى الرياضيات، يجد تشابها بين مباحث الفارابي ومباحث إخوان الصفا

وإذا انتقلنا من فرقة فلسفية كفرقة إخوان الصفا إلى مفكر مشرقى آخر هو الغزالي، وجدناه هو الآخر قد تأثر سواء فى كتبه المنطقية كـمعيار العلم، أو فى كتبه التى يعرض فيها لمذاهب الفلاسفة أو يتقدمهم فى آرائهم بكتابه (مقاصد الفلاسفة) وكتابه (تهافت الفلاسفة) نقول: نجد الغزالي قد تأثر فى دراساته بالكثير من الجوانب التى بحثها الفارابي فى كتاب (الحروف).

وما يقال عن ابن سينا وإخوان الصفا والغزالي يقال عن مفكر كانت كتاباته مزجا بين الفلسفة والأدب، وهو أبو حيان التوحيدى. فإذا رجعنا إلى كتاب (الإمتاع والمؤانسة) لأبى حيان التوحيدى وجدناه يثير العديد من الموضوعات المتعلقة بالصلة بين علم اللغة من جهة والمنطق والفلسفة من جهة أخرى، ونجد هذا بصفة خاصة فى الجزء الأول من كتاب (الإمتاع والمؤانسة) وهذا جانب سبق أن بحث فيه الفارابي، حين تحدث فى كتاب (الحروف) عن أصل اللغة وكيف تنشأ والعلاقة بينها وبين الفلسفة والدين.

وما نجده فى كتاب (الإمتاع والمؤانسة) نجده فى كتاب آخر لأبى حيان التوحيدى وهو كتاب (المقابسات) وجدنا أبا حيان التوحيدى فى تحديده لكثير من معانى المصطلحات العلمية والفلسفية، يتأثر بالفارابي فى أكثر من جانب من الجوانب التى بحث فيها فى كتابه.

بل إننا نجد عند فيلسوف مشرقى آخر - تعد أفكاره على جانب كبير من العمق والدقة، وهو أبو البركات البغدادي - تأثرا بكتابه (الحروف) للفارابي فأبو البركات البغدادي قد ترك لنا كتابا عظيما وهو كتاب (المعتبر فى الحكمة)

وينقسم هذا الكتاب إلى ثلاثة أقسام: قسم خاص بالمنطق، وقسم خاص بالطبيعيات، وقسم ثالث خاص بالإلهيات.

والمقارن بين كتاب أبي البركات البغدادي - وخاصة في القسم الخاص بالمنطق - يجد تأثيرا من جانب أبي البركات بالفيلسوف المشرقي الفارابي وخاصة فيما يتعلق بكتاب (الحروف).

وما يقال عن أبي البركات البغدادي يقال عن متكلم يعد أشعري الاتجاه وهو فخر الدين الرازي، لقد تأثر فخر الدين الرازي تأثيرا كبيرا بكتاب (الحروف) للفارابي؛ فالدارس لأهم كتاب تركه لنا فخر الدين الرازي وهو كتاب (المباحث المشرقية) لا يعدم وجود تأثير من جانبه بالموضوعات التي بحثها الفارابي في كتاب (الحروف).

إن كتاب (الحروف) لم يكن أثره قاصرا على المشرق العربي فقط، وعند المفكرين الذين ذكرناهم، بل إن أثر هذا الكتاب قد تجاوز المشرق إلى المغرب العربي، وهذا إن دلنا على شيء فإنما يدلنا على أهمية هذا الكتاب، إذ أن كل كتاب يتحدد أهميته بمقدار تأثيره في عدد من المفكرين في أرجاء العالم، وكتاب (الحروف) لم يكن مؤثرا على مفكرى المشرق فقط بل سنرى كيف أثر في بلورة كثير من الأفكار التي قال بها عديد من مفكرى وفلاسفة المغرب العربي.

فإذا بدأنا بابن باجه الفيلسوف الأندلسي وجدناه قد تأثر بكثير من الأفكار الموجودة بين ثنايا كتاب (الحروف) فقد ترك لنا ابن باجه الكثير من الرسائل المنطقية والتي لا يزال أكثرها مخطوطا، وإذا بحثنا في هذه الرسائل المنطقية وجدنا الكثير من أفكار الفارابي تتردد في كتابات ابن باجه، وخاصة في المواضيع التي يحدد فيها ابن باجه معانى الكثير من المصطلحات اللغوية والعلمية والفلسفية.

ولم يكن أثر كتاب (الحروف) على فكر ابن باجه مقتصرًا على الجوانب المنطقية فحسب، بل إننا لا نعدم وجود كثير من الأفكار الفلسفية التي بحث فيها الفارابي في كتاب تدبير المتوحد لابن باجه، والواقع أن ابن باجه قد تأثر

بالفارابي تأثرا كبيرا، بحيث يمكن القول بوجود كثير من أفكار الفارابي في كتابات ابن باجه. إن الفارابي هو الفيلسوف المفضل عند ابن باجه. وكل من الفيلسوفين قد اهتم بالدراسات المنطقية، وإذا كان للدراسات المنطقية نصيبها الكبير في فصول كتاب (الحروف) للفارابي، فإنها كانت أيضا موضع اهتمام ابن باجه في كثير من الكتب والرسائل التي تركها لنا.

وإذا أردنا متابعة تأثير كتاب الفارابي عبر الزمان وجدنا مفكرا أندلسيا آخر قد عرف كتاب (الحروف) للفارابي معرفة جيدة وتأثر به، هو أبو العباس بن موسى الصنهاجي المعروف بابن العريف والذي توفي في المغرب العربي في القرن السادس الهجري. إن المطلع على المسائل المنطقية التي ينسب تأليفها إلى ابن العريف، يجد تأثرا من جانبه ببحوث الفارابي في كتاب (الحروف) وخاصة في الفصل الذي بحث فيه الفارابي في موضوع الأسئلة الفلسفية وحروفها.

بل يمكن القول بأن كتاب (الحروف) قد ترك أثره على مفكر مغربي أندلسي آخر وهو ابن طفيل. فإذا رجعنا إلى الكتاب الوحيد الذي وصل إلينا من كتابات ابن طفيل، وهو كتاب (حي بن يقظان) وجدنا نوعا من أنواع التأثير من جانب ابن طفيل بكثير من أفكار الفارابي في كتاب (الحروف) وخاصة في المواضيع التي بحث فيها الفارابي الصلة بين الدين والفلسفة، فالمقارن بين هذه الأفكار، وبين محاولة ابن طفيل الخاصة بالتوفيق بين الشريعة والفلسفة، يجد أن ابن طفيل في تحديده للفروق بين شخصية «أبال» الذي يقترب منهجه من منهج الفيلسوف، وشخصية «سلامان» الذي يتبع طريق الجمهور، يجد أن ابن طفيل كان مستفيدا من الفارابي، إذ أن الفارابي - كما سبق أن بينا في تحليلنا لكتاب (الحروف) - قد فرق بين المسلك البرهاني الذي يسير عليه الفيلسوف وبين المسلك الخطابي الإقناعي الذي يسير عليه الجمهور، أي العامة.

ونود أن نتقل الآن من ابن طفيل إلى فيلسوف مغربي آخر جاء بعد ابن طفيل، وهو ابن رشد. لقد كان تأثر ابن رشد بكتاب الفارابي: كتاب (الحروف) تأثرا كبيرا، لقد عرف ابن رشد كتاب (الحروف) معرفة تامة وأشار إليه واستفاد منه في كثير من المجالات التي بحث فيها.

فإذا كنا قد أشرنا إلى أن كتاب (الحروف) للفارابي إنما يكشف عن تأثر مؤلفه «الفارابي» بكتاب (الميتافيزيقا) أو ما بعد الطبيعة لأرسطو، فإن الدارس لكتاب (الميتافيزيقا) لابد أن نتوقع من جانبه تأثرا بالفارابي، وهذا ما حدث بالنسبة لابن رشد. إننا نجد ابن رشد يقتطف من كتاب (الحروف) الكثير من العبارات، وهذه العبارات موجودة في أكثر من كتاب من كتب ابن رشد، ومنها على سبيل المثال كتاب (تلخيص ما بعد الطبيعة) وكتاب (تفسير ما بعد الطبيعة) إن كثيرا من المواضيع الفلسفية والمواضع المنطقية التي بحث فيها ابن رشد أثناء شرحه لكتاب (مابعد الطبيعة) لأرسطو، نجد فيها تأثرا من جانب ابن رشد، كان أثناء تفسيره لكتب أرسطو يرجع إلى كثير من الكتب التي تشرح وتعلق على كتب أرسطو، ومن هذه الكتب كتاب (الحروف) للفارابي، بل إن ابن رشد يذكر اسم (كتاب الحروف) صراحة ويذكر اسم مؤلفه الفارابي، وذلك في كتاب (تهافت التهافت) الذي ألفه ابن رشد إلى الفارابي وكتابه (الحروف)، أثناء شرحه لكتاب (البرهان) لأرسطو.

والواقع أننا نجد آراء الفارابي تتردد في كثير من المواضيع التي يبحث فيها ابن رشد، ليس المشكلات الفلسفية فحسب بل الجوانب المنطقية أيضا، فكثيرا ما نجد ابن رشد يشير إلى كتاب (الحروف) أثناء دراسته لأنواع القياس، وفي تفرقه بين القياس الجدلي والقياس البرهاني، إلى آخر هذه المجالات التي إن دلنا على شيء فإنما تدلنا على أن أثر الفارابي من خلال الأفكار الموجودة في كتاب (الحروف) كان عظيما على ابن رشد الفيلسوف المغربي الأندلسي.

وإذا كان الفارابي قد بحث - كما سبق أن أشرنا - في صلة اللغة بالمجتمع وفي مخارج الحروف، فإننا نجد أثر هذا على فيلسوف عاش بقرطبة من بلاد الأندلس، وهو الفيلسوف موسى بن ميمون.

إن ابن ميمون يشير إلى رأى للفارابي حول كيفية نطق الحروف باختلاف البلدان، ويذكر الفارابي ويذكر كتاب (الحروف) صراحة.

والواقع أن كتاب (الحروف) لم يقتصر أثره على هؤلاء المفكرين فقط، بل

إننا لو أردنا متابعة أثره لوجدنا أن الأفكار الموجودة فيه تتردد بصورة أو بأخرى وبطريقة مباشرة تارة وغير مباشرة تارة أخرى عند فلاسفة المسيحية، كالبرت الكبير فيلسوف العصور الوسطى المسيحية الذى أضاف إلى تأثيره بأرسطو تأثيراً من جانبه بآراء الفارابى الموجودة فى كتاب (الحروف) والقديس توما الإكوينى فى دراسته للوجود والماهية وتحديد المعانى كثيرة من المصطلحات الفلسفية، وهذه جوانب سبق للفارابى أن قام بتحليلها تحليلاً غاية فى الدقة فى الكتاب الذى نكشف عن أهميته اليوم: كتاب (الحروف).

ومعنى هذا أننا نجد آراء الفارابى الموجودة فى كتاب (الحروف) قد تردت بلا انقطاع عند المفكرين والفلاسفة الذى أتوا بعده سواء عاشوا فى المشرق أو عاشوا فى المغرب. وهذا يدلنا على عمق هذا الكتاب الذى يعد أعظم كتاب تركه لنا الفارابى فيلسوف المشرق العربى. هذا الكتاب الذى ترك بصمات واضحة وظاهرة على فكر كثير من المفكرين. لقد بذل الفارابى جهداً، وجهداً بارزاً وخاصة فى هذا الكتاب، واستحق أن يدخل تاريخ الفلسفة من أوسع أبوابها.

نعم لقد جاء هذا الكتاب - رغم اختلافنا مع الفارابى فى بعض الآراء التى قال بها - معبراً عن وقفة اجتهادية تنويرية. وقفة مستقبلية، وقفة يدعوننا من خلالها إلى الانفتاح على أفكار الآخرين: الانفتاح على فكر اليونان. صحيح أن الفارابى قد تأثر بالسابقين، ولكن هذا التأثير قد جاء فى حد ذاته معبراً عن جانب مستقبلى تنويرى، فهل يفهم هذا الدرس أناس مازالوا يعيشون بيننا الآن ومن أشباه الأساتذة وأشباه المثقفين والذين يحلو لهم الحديث عن الغزو الثقافى والهجوم على الحضارة الأوربية!!!.

* * *